استهزاء الكفار بالنبي- صلى الله عليه وسلم- في القرآن الكريم

KURAN-I KERİM'DE KAFİRLERİN HZ PEYGAMBERLE İSTİHZA ETMESİ

Dr. Öğr. Üyesi Ahmet HAMİTOĞLU
Ağrı İbrahim Çeçen Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi
Tefsir Anabilim Dalı
ahamitoglu@agri.edu.tr
orcid.org/0000-0003-1748-7938

Atıf Gösterme: HAMİTOĞLU, Ahmet, "استهزاء الكفار بالنبي- صلى الله عليه وسلم- في القرآن الكريم", *Ağrı İslâmi İlimler Dergisi (AGİİD),* Aralık 2020 (7), s.215-222.

Geliş Tarihi:

31 Temmuz 2020

Kabul Tarihi:

24 Kasım 2020

© 2020 AGİİD

Tüm Hakları Saklıdır.

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان بأن الرسالة السماوية التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم هي رسالة عالمية ختم الله بها كافة الرسالات السابقة، وأمر أتباع تلك الديانات السابقة باتِّباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته القرآن الكريم، كشفت هذه الدراسة عن كشف حجم المؤامرات التي حاكها الكفار في مواجهة النبي عليه الصلاة والسلام والتقليل من شأن رسالته السماوية القرآن الكريم الذي أنزله رب العزة للناس كافة ، وتوضح هذه الدراسة مدى حقد المشركين وبغضهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وكيف سعوا بكل الأساليب القذرة للنيل من النبي عليه الصلاة والسلام ودعوته، من جملة الأساليب التي استخدمتها قريش في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم وصفه بالمجنون تارة، ثم تارة يتخذونه هزوا يسخرون منه وبكل ما جاء به من النور والهدى، كما بينت الدراسة حقد المشركين في زماننا هذا وتفننهم في النيل من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تارة بالرسوم الكارتير وتارة عبر محافلهم، وفي المقابل تتعالى أصوات المسلمين للدعوة إلى المحبة والتسامح والتعايش السلمي بين الأديان، ألا أن اليهود لا يزال حقدهم دفين على الإسلام والمسلمين.

الكلمات المفتاحية :النبي صلى الله عليه وسلم، قريش، الكفار، الاستهزاء، السخرية، الحجة والدلالة

Özet: Bu çalışma, Hz. Muhammed'in getirdiği semavi risaleti beyan gayesiyle hazırlanmıştır. Bu risalet, Allah'ın önceki tüm risaletleri kendisiyle hitama erdirdiği evrensel bir risalettir. Allah, önceki dinlerin müntesiplerine Resulü Ekrem'e ve onun risaletini üstlendiği Kurân-ı Kerim'e tabi olmalarını emretmiştir. Bu çalışma kafirlerin Hz. Peygamber için tertipledikleri komploların ve Yüce Allah'ın tüm insanlık için inzal ettiği Hz Peygamberin semavi risalesi olan Kurân'ın şanını alçaltma girişimlerinin boyutunu ortaya koymaktadır. Ve yine aynı zamanda bu çalışma müşriklerin, Resulullah'a duydukları kin ve düşmanlıklarının boyutunu Hz Peygamberi ve onun davetini akamete uğratmak/ küfretmek için, Kureyş'in bazen deli diye çağırdığı bazen kendisini ve getirmiş olduğu nuru ve hidayeti alaya aldıkları gibi Hz peygambere eziyet için kullanmış oldukları tüm yollara onların da başvurduklarını ve onları nasıl kötü üsluplarla karaladıklarını da net bir şekilde göstermektedir. Bu çalışma müşriklerin günümüzde sahip oldukları nefret ve kine, sanat kisvesi altında bazen karikatür bazen gösteriler aracılığıyla peygamberimize küfür etmelerine karşılık müslümanların seslerinin sevgi, hoşgörü ve dinler arası huzurlu yaşama çağrısıyla yükseldiğine de yer vermektedir. İyi bilinmelidir ki, Yahudilerin İslam ve müntesiplerine karşı kalplerinde saklı tuttukları kin ve düşmanlık bitmemiştir.

Anahtar Kelimeler: *Peygamber, Kureyş, Kafir, İstihzâ, Delil.*

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي قال والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين اما بعد: أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والمرسلين إلى أقوامهم من أجل إنقاذهم ونجاتهم من النار، إلا أنه في كل قوم من هذه الأقوام يخرج من يكذب هؤلاء الأنبياء والمرسلين؛ بل ويُعلن لهم العداء ويقاتلهم بكل ما استطاع، ولقد دأب هؤلاء المخالفون من الكفار على الاستهزاء بدين الله- سبحانه وتعالى- فاستهزؤوا بكتابه العظيم، وسنة نبيه الأكرم محمد –عليه الصلاة والسلام-وكل هذا الاستهزاء ينِم عن الكفر الذي ختم الله به قلوبهم فهم لا يفقهون، وعن مرض تلك القلوب التي أغواها الشيطان، وعشش فيها، وتربع على عرش أهوائها، وتمالك عقولها، فاستهزؤوا بالأنبياء والمرسلين، كنبي الله نوح، وهود، وشعيب، ولوط، وموسى، عليهم السلام، وكما استهزؤوا بنبينا محمد –عليه الصلاة والسلام – وبرسالته .

بل إن هذا استهزاء لم يقتصر على الأنبياء والمرسلين؛ بل طال المؤمنين الذين اهتدوا واتبعوا دين الحق، فاستهزأوا بصفاتهم، وأفعالهم، وأفكارهم، وسِماتهم الحسنة، وبطيب قلوبهم، بل وحاربوهم في معيشتهم وحياتهم الخاصة، وقد واجه نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام- كيلاً من الإستهزاءات التي نالت منه عليه الصلاة والسلام، فتارة يسخرون منه، وتارة يصفونه بالمجنون والساحر، بل وصل بهم الأذى الى قذف أزواجه -عليه الصلاة والسلام-، فكانت أساليبهم العدوانية متعددة، لكن الله سبحانه وتعالى عَرَّفَ نبيَّه محمد- عليه الصلاة والسلام – بهم، وأطمئن بأن الله يكفيه شرهم قال تعالى﴿**إنا كفيناك المستهزئين**﴾،[1] كما أرشده الى كيفية مواجهتهم.

إنَّ دور المسلم اليوم أن يُدرك جيداً أن المستهزئين كفار خارجون من الملة، فلا يوالي منهم أحداً. وجاءت هذه الدراسة لتوضح حقيقة هؤلاء المستهزئين، وماهو السبب الذي دفعهم للإستهزاء، وماهي المجالات التي اتخذها المستهزئون ميداناً لاستهزائهم، كما بينت هذه الدراسة كيفية رد الرسل –عليهم السلام- والمؤمنين عليهم، كما بينت مصير هؤلاء المستهزئين في الآخرة، وأن مصيرهم جهنم وبئس المصير وهو ماتناولته هذه الدراسة من خلال القرآن الكريم . وأقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم الى مقدمة بيّنت فيها أصل الموضوع وأهميته، ثم شرعت ببيان مواطن الإستهزاء من خلال بعض الآيات الكريمة، ثم الخاتمة بيّنت فيها أهم تلك المواطن، وبعض النتائج الى توصلت إليها من خلال هذه الدراسة .

1 . اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون:

من الأساليب التي استخدمها الكفار لإيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، وتحريك الرأي العام من حوله، وتشكيك الناس برسالته عليه الصلاة والسلام اتهامه بالجنون، **قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يا أيها الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾**[2]، **إنّ** أول مواجهةٍ للنبي محمد صلى الله عليه وسلم **كانت مع قومه وأبناء قبيلته قريش،** حيث بيّنت هذه الآية الكريمة كيف استهزأ الكفار من قريش بالنبي محمد – صلى الله عليه وسلم - وأخبرت عن عنادهم وكفرهم[3]، وكان الاستهزاء ظاهره المدح، حيث إقرار قريش بوصفهم النبي – صلى الله عليه وسلم– بأن الذكر قد نُزِّل عليه، رغم عدم إيمانهم برسالة محمد – صلى الله عليه وسلم –، فلماذا وصفوا النبي– صلى الله عليه وسلم – بهذا الوصف ؟ جاء هذا الوصف بأنه كلمة حق أريد بها باطل، فجاء هذا الوصف من باب الاستهزاء والتهكم، لا من باب المدح والثناء والإيمان برسالته . فكيف يقرون له بالنبوة ثم يقولون له: إنك لمجنون[4] ؛ إذاً فنداؤهم النبي– صلى الله عليه وسلم – بـ﴿يا أيها الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ استهزاء ظاهر[5]، وهذه وقِاحَة ظاهرة منهم، لعنهم الله، وهذا استهزاء بأسلوب إطلاق المدح بقصد الاستهزاء لا المدح .ولم يكتفوا بمجرد هذا الوصف الاستهزائي، بل طعنوا

---

[1]- سورة الحجر الآية:95.

2- سورة الحجر الآية: 6

3- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري، ***تفسير القرآن العظيم***، تح: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط3، 1420هـ- 1999م)، 721/2.

4- ابن عجيبه، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني، ***البحر المديد في تفسير القرآن المجيد***، تح:أحمد عبد الله القرشي رسلان، (القاهرة: حسن عباس زكي، 1419هـ)، 78/3.

5- سيد قطب، محمد، ***في ظلال القرآن***،(دار الشروق، ط32، 1423هـ-2003م)، 2127/14.

في عقل النبي – صلى الله عليه وسلم – وقالوا عنه: إنه مجنون، بل لم يكتفوا بمطلق الوصف، وإنما أكدوا وصفه بالجنون بحرفيّ توكيد؛ الأول وهو: حرف التوكيد (إن)، والحرف الثاني: حرف(اللام)؛ فقالوا: إنك لمجنون[6]، وقد استخدم كفار قريش هذا الأسلوب مع النبي – صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة .

2. اتخاذ النبي هزواً:

إن من ضمن الأساليب الرخيصة التي استخدمها الكفار من قريش أنهم لم يتركوا مجلساً أو مكاناً يقصده النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلا ذهبوا إليه واسخروا منه أمام قومه، قال تعالى:﴿**وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا** ﴾[7]، فالكفار المشركون المكذبون بالبعث يتخذون النبي– صلى الله عليه وسلم – هزواً؛ إذا رأوه في مجلس من مجالس مكة، أو رأوه ماشياً في شِعب من شِعاب مكة، ويقولون: (أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا)، فهم يسخرون منه أينما رأوه في مكة.[8] وإن هذا الاستهزاء مبيّت في قلوبهم، ولكنهم يظهرونه وقت رؤية النبي – صلى الله عليه وسلم، وما ذلك إلا زيادة في أذى النبي – صلى الله عليه وسلم-، وقولهم هذا: (أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا) ليس سؤال للاستفهام أو لزيادة اليقين عندهم؛ بل احتقاراً للنبي– صلى الله عليه وسلم- وسخرية به، ووجه الاحتقار أنهم استخدموا (هذا) للإشارة إليه، واسم الإشارة (هذا) يستخدم للاحتقار [9]

أما استهزاؤهم الآخر: وصفهم إياه بصفة الرسالة (أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا) ليس اعتقادا منهم بمبعثه لهم رسولاً!؛ لأنهم لا يؤمنون به أصلاً؛ بل وصفهم بأنه مرسل كان استهزاءاً وتهكم منهم[10] .

وعن وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالمرسل يقول الزمخشري: "وإخراجه في معرض التسليم والإقرار وهم في غاية الجحود والإنكار- سخرية واستهزاء. ولو لم يستهزئوا لقالوا: أهذا الذي زعم أو ادّعى أنه مبعوث من عند الله رسولاً".[11]

وهذا النوع من الاستهزاء يسمى أسلوب إطلاق المدح بقصد الاستهزاء. وقد سببت هذه السخرية والاستهزاء مشقة عظيمة للنبي عليه الصلاة والسلام؛ لأن المشركين كانوا يرون النبي– صلى الله عليه وسلم- مرات كثيرة في مكة؛ لأن مكة المكرمة كانت قرية صغيرة آنذاك؛ وبالأخص عندما يكون داعية مثل النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ يروح ويغدو داعياً إلى الله؛ فيراه الكفار مرات عديدة؛ لذلك يتكرر استهزاؤهم عدة مرات؛ فتجد الكفار يستهزئون به كلما رأوه .

وقد كان أثر هذه السخرية كبيراً وسيئاً في قلب النبي صلى الله عليه وسلم لاسيما ما يجده من قومه وقبيلته قريش، وهذا الأمر بطبيعة الحال صعب على الإنسان أن يُحارب في مدينته وقريته من قبل أقربائه وأبناء عشيرته، بل كانوا يزدادون سخريةً منه عليه الصلاة والسلام كلما جلس مجلساً فراؤه اتخذوه هزواً. ولكن النبي – صلى الله عليه وسلم - صبر وصابر وبقي يبلغ رسالة ربه، رغم ما لقيه من الأذى .

3. سؤالهم الكنز والمعجزات من النبي صلى الله عليه وسلم:

لم يتوانَ كفار قريش من مضايقة النبي صلى الله عليه وسلم وعرقلته في نشر دعوة الإسلام في مكة المكرمة، فكان من أساليبهم الخبيثة لمضايقة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنهم يطلبون منه المعجزات كما قال تعالى:﴿ **وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا(7) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ**

6-الصابوني، محمد علي، ***صفوة التفاسير***،(القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1417،1هـ-1997م)، 5/7.

7- سورة الفرقان / 41 .

8- الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر، *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، (المدينة المنورة – السعودية: مكتبة العلوم والحكم، ط5، 1424هـ-2003م)،617/3.

9- ألقاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، ***محاسن التأويل***، تح: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ) ،263/12.

10- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، (*بيروت*:دار الكتاب العربي، ط1407،3ه)،142/2.

11- الزمخشري، ***الكشاف***،286/3.

الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾[12]، حيث كان سبب نزول هذه الآيات على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيما كان مشركون قريش يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم في اجتماع أشراف مكة بظهر الكعبة، ويعرضون عليه أشياء ويسألونه الآيات فكان فيما كلموه حينئذ، عن ابن عباس أن قالوا له: فإن تفعل لنا هذا؛ يعني ما سألوه عنه من تسيير جبالهم عنهم، وإحياء آبائهم، والمجيء بالله والملائكة قبيلاً، وما ذكره الله في سورة بني إسرائيل، خذ لنفسك، سلْ ربك يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وسَلْه فيجعل لك قصوراً وجناناً وكنوزاً من ذهب وفضة تغنيك عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: ما أنا بفاعل، فأنزل الله في قولهم: أن خذ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لها: أن يجعل له جناناً وكنوزاً وقصوراً، أو يبعث معه ملكاً يصدقه بما يقول ويرد عنه من خاصمه (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا**(7)** أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا)[13]، فالكفار يرفضون أن يكون النبي مثلهم لا يخالف حاله حالهم ، وجهلوا أن الأنبياء والمرسلين بشر لا يختلفون عنهم في الخِلْقَة، وإنما يختلفون عنهم في أمور جبلهم الله عليها في أطباعهم وأخلاقهم حتى بلغوا ذروة الكمال البشري[14]، فإنهم وضعوا شروطاً من عند أنفسهم تحدد ماهية الرسول– صلى الله عليه وسلم-، وليس لهم في ذلك أثارة من علم، وليس لهم من الحق إلا أن يطلبوا الدليل على صدق النبي – صلى الله عليه وسلم– فقط ؛ وقد جاءهم بالدليل على صدقه وهو القرآن الكريم، ودليل الاستهزاء في هذه الآية؛ أن الكفار استهزؤوا بالنبي– صلى الله عليه وسلم– فقالوا: (مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ)، فقولهم: (الرَّسُولِ) ليس إيماناً منهم برسالة؛ بل هو تهكم واستهزاء، فوصفه بالرسول استهزاء منهم[15].

يقول الزمخشري: (وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنْز)؛[16] لأن الكفار أطلقوا المدح بقصد الاستهزاء والسخرية .

4. إنكار شخصه صلى الله عليه وسلم:

من ضمن الأساليب المستخدمة التي استخدمها كفار قريش لمضايقة النبي عليه الصلاة والسلام إنكار شخصه الكريم ومناداته بألفاظ النكرة كما قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[17]**،

كان الكفار من قريش يخبرون عن النبي عليه الصلاة والسلام ومبعثه بطريقة الاستهزاء؛ لأن الكفار لم يقولوا: إن محمد بن عبد الله يقول: إنكم لفي خلق جديد بعد الموت، وإنما قالوا:(هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ)، فنكروه وقالوا:(رَجُلٍ)، وعاملوه معاملة المجهول في طريقة الدلالة عليه، كأنهم يخبرون عن عجيبة من عجائب الدهر(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)، والقصد من ذلك الاستهزاء والسخرية والتهكم[18]. وسخريتهم من أنهم يتعجبون أن الله سبحانه وتعالى سيبعثهم ويلملم أشلائهم بعد أن تفرقت أجسادهم في الأرض، وتمزقت فلم يبق ما يمسكها؟![19] وكأنهم

12- سورة الفرقان الآيات: 7- 8 .

13- الطبري، محمد بن جرير الآملي، *جامع البيان في تأويل القرآن*، تح: أحمد محمد شاكر،(مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م)، 366/9-367.

14- البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي،(بيروت: دار إحياء التراث العربي ط1، 1418ه)، 135/2.

15- المنصوري، مصطفى الحصن، ***المقتطف من عيون التفاسير***، تح: محمد علي الصابوني، (دمشق-بيروت: دار القلم –الدار الشامية، ط2، 1417هـ- 1996م)، 8/4 .

16- الزمخشري، ***الكشاف***، 270/3.

17- سورة سبأ الآية: 7.

18- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط3، 1384ه-1964م)، 237/14-238.

19- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، *تفسير القرآن العظيم*، تح: محمد حسين شمس الدين،(بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 1419ه)،694/3.

يقولون: (هل ندلكم على رجل عجيب غريب، ينطق بقول مستنكر بعيد، حتى ليقول: إنكم بعد الموت والبلى والتمزق الشديد تخلقون من جديد، وتعودون للوجود)[20]. وهذا النوع من الاستهزاء يسمى أسلوب الاستفهام المساق للاستهزاء.

5. استعلام الكفار عن قول النبي بالاستهزاء:

كل الأساليب السابقة التي استخدمها كفار قريش لم تشفِ صُدورهم؛ بل وصل بهم الحَدُ من الخِسة في العَداءِ للنبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يحضرون مجالسه، ثم إذا انصرفوا سَخروا منه كما ذكر الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ**﴾[21]، **فكان** المنافقون من كفار قريش يستمعون إلى النبي- صلى الله عليه وسلم – ولكن إذا خرجوا من عنده – صلى الله عليه وسلم – سأل المنافقون أهل العلم من الصحابة- رضي الله عنهم – عن الذي قاله الرسول– صلى الله عليه وسلم – لكن سؤالهم ليس لأنهم نسوا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم بصورة الاستعلام؛ بل كانوا يسألون بطريقة السخرية والاستهزاء، وفي ذلك يقول أبو السعود: "(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيسمعون كلامه، ولا يَعونه، ولا يراعونه حق رعايته تهاوناً منهم (حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) ؛ أي من الصحابة – رضوان الله عليهم – (مَاذَا قَالَ آنِفًا)؛ أي: ما الذي قال الساعة؟ على طريق الاستهزاء، وإن كان بصورة الاستعلام"[22]، ومعنى: (قَالَ آنِفًا)؛ أي: قال سالفاً فيما سبق[23]، وهذا النوع من الاستهزاء يسمى أسلوب الاستفهام المساق للاستهزاء. وهذا الأسلوب الاستهزائي كان يتبعه المنافقون كثيراً ؛ لعرقلة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال ابن عباس – رضي الله عنه: " كان قوم يسألون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – استهزاءاً، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[24] حتى فرغ من الآية كلها[25]

ولا زلنا نشهد إساءة للنبي صلى الله عليه وسلم من قبل أعداء الإسلام كما هو الحال في أخر إساءة للنبي صلى الله عليه وسلم التي تمثلت بنشر صور مسيئة لشخص النبي صلى الله عليه وسلم في فرنسا وغيرها من الدول الأوربية.

إنَّ استهزاء الكفار بالنبي– صلى الله عليه وسلم– لم يقف عند حد الكلام فقط، بل تجاوزوا الأمر إلى الفعل والتعدي. فقد روى البخاري عن عبد الله، قال: بينما رسول الله (قائم يصلي عند الكعبة، وجمع قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي، أيكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به، ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم، فلما سجد رسول الله (وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ساجدا، فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة- وهي جويرية-، فأقبلت تسعى، وثبت النبي (ساجدا حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى النبي الصلاة قال: " اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش"، ثم سمى: "اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن

20- سيد قطب، ***في ظلال القرآن***، 22/2895

21- سورة محمد الآية: 16.

22- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى، *تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت*: دار إحياء التراث العربي)، 88/6.

23- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، *مختار الصحاح*، تح: يوسف الشيخ محمد، (بيروت: المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ط5، 1420هـ-1999م)، ص:22.

24- سورة المائدة / 101.

25- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، *الجامع الصحيح المختصر*،(القاهرة: دار الشعب، ط1، 1987م)، ص 736.

الوليد".قال عبد الله: فو الله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب: قليب بدر ثم قال رسول الله " وأتبع أصحاب القليب لعنة"[26]

حقاً وصدقاً لقد أُتبع أصحاب القليب لعنة أن استهزؤوا بالنبي- صلى الله عليه وسلم– وضحكوا منه ومن صلاته ومما فعلوا به. وحقاً وصدقاً لقد أُتبع أصحاب القليب لعنة أن قُتلوا وهم يحاربون النبي- صلى الله عليه وسلم – وأُلقوا بالقليب .

6- سخريتهم بمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم :

لم يزل الكفار من قريش يُضيقون كل شيء أمام النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته ، وفي ذلك قال تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ)[27]، فقد بلغ الاستهزاء عند الكفار مبلغاً عظيماً؛ حيث إن النبي– صلى الله عليه وسلم– كان يأتيهم بالمعجزة الواضحة البينة فيسخرون وذلك لأنهم ألفوا السخرية والاستهزاء بالنبي– صلى الله عليه وسلم-[28]، فالكفار ما أن يروا الآية حتى يستسخروا، والآية هنا البينة كانشقاق القمر ونحوه من البينات الواضحات[29]

إن لكلمة: يستسخرون ثلاثة معانٍ وهي:

السخرية: حيث إن معنى: "يستسخر" هو نفس معنى: " يسخر" .

يستدعي بعضهم بعضاً كي يسخروا .

يبالغون في السخرية[30].

وأياً كان المعنى؛ سواء أن الكفار كانوا يستسخرون بمعنى يسخرون، أم يستدعي بعضهم بعضاً لأجل السخرية، أو يبالغون في السخرية، فهم في نهاية الأمر ساخرون من المعجزات البينة الواضحة، و ذلك بعد أن ظهرت للعيان، وتوغل صدقها إلى شغاف الجَنان. ولكن الكفر عناد (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)[31]، ولكن كفار مكة لم يجحدوا بها وحسب، بل جحدوا بها واستهزؤوا منها، إمعاناً منهم في الكفر والضلال .

فالكفار يستهزئون من المعجزات التي يجريها الله على يد رسوله – صلى الله عليه وسلم – وهي لا تدعو إلى الاستهزاء، وإنما تدعو إلى التفكر والتدبر والإيمان، ولكن أهل الضلال يغيبون عقولهم عندما يبحثون في أمر الإيمان ؛ لأن أهواءهم تريد شيئاً آخر غير الإيمان .

وفي زماننا لم يتوقف الاستهزاء بشخص النبي صلى الله عليه وسلم، فنجد الكفار في هذا الزمان في كل فترة يظهرون برسوم مسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم، حيث رسم صلاح جاهين – رسام الكريكاتير المعروف – صورة هزلية في جريدة الأهرام؛ رسم فيها رجلاً بدوياً – يرمز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – يركب حماراً في وضع مقلوب؛ أي: رأس الحمار في اتجاه ووجه الرجل في الاتجاه المضاد رمزاً للرجعية . وفي أرضية الصورة ديك وتسع دجاجات . وعنوان الرسم (محمد أفندي جوز التسعة) وهو هجوم سافر على شخص الرسول – صلى الله عليه وسلم– وزوجاته التسع لم يسبق له مثيل في أية صحافة إسلامية على الإطلاق ، بل لعل الصحف الصليبية لا تتوقح بهذه الوقاحة "[32]، وما يحدث الآن في دول أوربا ألان، وعلى وجه التحديد فرنسا واستمرارها بالإساءة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم....

26- الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، (المتوفى: 795 هـ)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (السعوديه: دار ابن الجوزي، 1422هـ)، الصلاة، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى 1 /780-781.

27- سورة الصافات الآية: 14.

28- ينظر: المنصوري، ***المقتطف من عيون التفاسير***، 371/4.

29- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي(ت.850هـ)، ***غرائب القرآن ورغائب الفرقان***، تح: الشيخ زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1- 1416ه)، 557/5.

30- ينظر ابن جزي، ***التسهيل لعلوم التنزيل***، 190/2.

31- سورة النمل/ 14 .

32- محمد قطب، ***واقعنا المعاصر***، الناشر: دار الشروق، ط1، 1418ه -1997، ص 358 .

لقد استهزأ الكفار بنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم – بشتى أساليب الاستهزاء، ولا يزال أتباع هؤلاء الكفار يسخرون من شخصيّة النبي عليه الصلاة والسلام سواء بالرسوم أو غيرها من الأساليب الرخيصة التي يعبرون من خلالها عن بغض النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته السماوية التي هي خاتمة الرسالات.

الخاتمة: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فإن لكل بداية محرقة لابد من نهاية مشرقه، وهانحن نطوي صفحات هذه الدراسة المباركة، وسنبين من خلال هذه الخاتمة بعض الأمور التي توصلت إليها هذه الدراسة إلى ما يلي: إن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم هي خاتمة الرسالات السماوية، وإن النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، إن كفار قريش لم يتهاونوا يوماً في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، وإنهم استخدموا كل الأساليب التي من شأنها تعرقل سير الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ومن هذه الأساليب الرخيصة التي استخدموها إتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون، كذلك الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام وبدعوته، وطلبهم منه الكنز والذهب والفضة لإثبات المعجزات،وأنكروا شخصه الكريم ، ولكن النتيجة كانت هي كفاية الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال له (إنا كفيناك المستهزئين)، فكانت النتيجة والعاقبة للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته ودعوته، كما توصلت هذه الدراسة إلى أن سخرية الرسامين وبعض المنتقدين للإسلام في الزمن الحاضر هم امتداد لكفار قريش، وتكاد تتشابه أساليب الإساءة في الماضي والحاضر من قبل المسيئين للنبي صلى الله عليه وسلم . والحمد لله رب العالمين.

المصادر:

القرآن الكريم

1. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت.852هـ)، ***تقريب التهذيب***، تحقيق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، ط1، 1406 – 1986.
2. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت.1224هـ)، ***البحر المديد في تفسير القرآن المجيد***، تحقيق، أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، 1419 هـ.
3. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت.774هـ)، ***تفسير القرآن العظيم*** تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط3، 1420هـ - 1999 م .
4. الإفريقى، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى (ت.711هـ)، ***لسان العرب***، الناشر: دار صادر– بيروت، ط3،- 1414هـ.
5. ألقاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت.1332هـ)، ***محاسن التأويل***، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 - 1418 هـ.
6. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت.685هـ)، أنوار ***التنزيل وأسرار التأويل***، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1 - 1418 هـ .

7. الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، ***أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير***، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ/2003م.
8. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت.666هـ) ***مختار الصحاح***، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت– صيدا، ط5، 1420هـ / 1999م .محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري.
9. الراغب الأصفهاني ، حسين بن محمد ، ***مفردات ألفاظ القرآن***، تحقيق: صفوان عدنان الداوودي، الناشر: دار القلم – دمشق.
10. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت.538هـ)، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط3 - 1407 هـ .
11. زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت.795هـ)، ***فتح الباري شرح صحيح البخاري***، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود،.مجدي بن عبد الخالق الشافعي، إبراهيم بن إسماعيل القاضي.، السيد عزت المرسي، محمد بن عوض المنقوش، صلاح بن سالم المصراتي، علاء بن مصطفى بن همام، صبري بن عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، ط1، 1417هـ - 1996 م.
12. سيد قطب ، محمد قطب، ***في ظلال القرآن***، الناشر: دار الشروق، ط32، 1423هـ -2003م .
13. الصابوني، محمد علي، ***صفوة التفاسير***، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة،ط1417،1 هـ - 1997 م.
14. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر(ت.310هـ)، ***جامع البيان في تأويل القرآن***، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000 م.
15. العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (ت. 982هـ)، ***تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم***، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
16. الغرناطي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي(ت.741هـ)، *التسهيل لعلوم التنزيل*، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت ط1 - 1416 هـ.
17. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت.671هـ)، ***الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي***، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م.
18. محمد قطب، ***واقعنا المعاصر***، الناشر: دار الشروق، ط1، 1418ه -1997.
19. المنصوري، مصطفى الحصن، ***المقتطف من عيون التفاسير***، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: دار القلم– دمشق، والدار الشامية– بيروت، ط2، 1417هـ- 1996م.
20. النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت. 850هـ) ***غرائب القرآن ورغائب الفرقان***، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، ط1 - 1416 هـ.